بحث
في تفسير معاني الفتنة في القرآن الكريم

بقلم
دكتور
محمد عبد الرحمن محمد عبد الله
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين — القاهرة

تعريف الفتنة :

إذا تقصينا معنى الفتنة فى اللغة نجدأنها تأتى على معان عديدة . مثل : الإبتلاء والاختبار والشرك والعذاب ، والحرق بالنار والإضلال وغير ذلك مما ورد فى معاجم اللغة .

فقد ذكر ابن منظور عن الأزهرى وغيره : « جماع معنى الفتنة الإبتلاء والإمتحان والإختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفتنة والذهب ، إذا أذبتها بالنار لتميز الردىء من الجيد .

قال ابن الأعرابى : الفتنة الإختبار ، والفتنة المحنة ، والفتنة المال ، والفتنة الأولاد ، والفتنة الكفر ، والفتنة اختلاف الناس بالآراء ، والفتنة الإحراق بالنار .

ثم ذكر ابن منظور : والفتنة الضلال والإثم ، والفتنة الجنون ، والفتنة الفضيحة ، والفتنة العذاب ، والفتنة ما يقع بين الناس من القتال ، والفتنة القتل . أ . هـ[1] .

وقال الراغب بعد أن عرف أصل الفتن بأنه ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته .. والفتنة من الأفعال التى تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة ، ومتى كان من الإنسان بغير

---

(١) لسان العرب ٥ / ٣٣٤٤ : ٣٣٤٧ مادة (فتن) وانظر تاج العروس الزبيدى ٩ / ٢٩٧ : ٢٩٨ . والنهاية لابن الأثير ٣/ ٤١٠

أمر الله يكون بضد ذلك ، ولهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة فى كل مكان . أ . هـ[1] .

وقد حلل ابن فارس فى مقاييسه مادة الفتنة فقال : « فتن ، الفاء والتاء أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار من ذلك الفتنة . أ . هـ[2] .

وأما عن معنى الفتنة فى القرآن فعند حصر الآيات القرآنية وقراءتها وتدبرها نلاحظ أنها لاتختلف فى معناها القرآنى عن أصل معناها فى وضعها اللغوى .

استعمالات كلمة الفتنة فى القرآن :

لقد وردت مادة هذه الكلمة فى القرآن الكريم على اثنى عشر وجهاً[3] .

أولا : بمعنى الشرك والكفر :

قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم .

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٧١ : ٣٧٢ « فتن » .
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن الحسين أحمد بن فارس ٤/٤٧٢ .
(٣) انظر بصائر ذوى التمييز للفيروزآبادى ٤/١٦٧ : ١٦٩ والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز لأبى عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى ٢/١١٩ : ١٢١ ط المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية سنة ١٤١٦هـ — ١٩٩٥م

وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين »[1] .

أى : قاتلوا فى سبيل الله من يناصبكم القتال من المخالفين « ولاتعتدوا أى لاتقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده فإن فعلتم فقد اعتديتم رواه ابن أبى حاتم عن ابن عباس .

« إن الله لا يحب المعتدين » أى المتجاوزين ما جد لهم وهو كالتعليل لما قبله[2] :

« واقتلوهم حيث ثقفتموهم » أى اقتلوهم حيث وجتموهم فى حل أو حرم « وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » أى شردوهم من أوطانهم وأخرجوهم منها كما أخرجوكم من مكة .

قال الإمام ابن كثير : ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نبه تعالى على أن ماهم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل ولهذا قال « والفتنة أشد من القتل » قال أبو مالك أى ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل . وقال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس فى قوله « والفتنة أشد من القتل » يقول الشرك أشد من القتل .. ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدؤكم بالقتال فيه فلكم حينئذ قتالهم وقتلهم دفعاً للصائل كما بايع النبى ﷺ ، أصحابه يوم

(١) سورة البقرة الآيات ١٩٠ : ١٩٣
(٢) انظر روح المعانى ٢/٧٥

الحديبية تحت الشجرة على القتال لما تألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من ثقيف والأحابيش عامئذ ثم كف الله القتال بينهم .

وقوله « فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم » أى : فإن تركوا القتال فى الحرم وأنابوا إلى الإسلام والتوبة فإن الله يغفر ذنوبهم . أ ، هـ[1] .

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » عطف على « قاتلوا الذين يقاتلونكم » والأول مسوق لوجوب أصل القتال ، وهذا لبيان غايته ، والمراد من « الفتنة » — كما يقول العلامة الألوسى — الشرك على ما هو المأثور عن قتادة . والسدى وغيرهما ، ويؤيده أن مشركى العرب ليس فى حقهم إلا الإسلام أو السيف لقوله سبحانه « تقاتلونهم أو يسلمون »[2] « ويكون الدين لله » أى خالصاً له كما يشعر به اللام ، ولم يجىء هنا كلمة « كله » كما فى آية الأنفال[3] لأن ما هنا فى مشركى العرب وماهناك فى الكفار عموماً فناسب العموم هناك وتركه[4] .

ثم ختم — سبحانه — الآية بقوله « فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » والعدوان فى أصل اللغة : الإعتداء والظلم الذى هو من الأفعال المحرمة ، والمراد به فى الآية القتل حيث يرتكب جزاء المقاتلين .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٧/١

(٢) سورة الفتح من الآية : ١٦

(٣) ذلك فى قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير » الآية : ٣٩ .

(٤) روح المعانى ٧٦/٢ وانظر درة التنزيل للخطيب الإسكافى ص ٤٦ : ٤٧

والفاء فى قوله « فإن انتهوا » للتعقيب . وقوله « فلا عدوان إلا على الظالمين » قائم مقام جواب الشرط ، لأنه علة الجواب المحذوف .

والمعنى : فإن انتهوا عن قتالكم وعن الشرك فكفوا عن قتالهم ، لأنه قد انتفى عنهم وصف الظلم ، ومادام قد انتفى عنهم هذا الوصف فلا يصح أن تقاتلوهم ، إذ القتال إنما يكون للظالمين تأديباً لهم ليرجعوا عن ظلمهم .

ففى الجملة الكريمة إيجاز بالحذف واستغناء عن المحذوف بالتعليل الدال عليه[1] .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »[2] .

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى سننه عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطا ، وبعث عليهم عبد الله بن جحش فلقوا ابن الحضرمى فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم فى الشهر الحرام فأنزل الله تعالى « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » الآية ، فقال بعضهم إن لم يكونوا أصابوا وزرا فليس لهم أجر ، فأنزل الله « إن

---

(١) انظر التفسير الوسيط ١ / ٥٤٠

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٧

الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم »[٢] .

والمعنى : يسألونك يا محمد عن حكم القتال فى الشهر الحرام ، قل لهم : القتال فيه أمر كبير مستنكر ، وذنب عظيم مستقبح ، لأن فيه اعتداء على الشهر الحرام المقدس ، وانتهاكا لمحارم الله تعالى .

والسائلون قيل هم المؤمنون ، وقد سألوا عن حكم ذلك على سبيل التعلم والتماس المخرج لما حصل منهم . وقيل هم المشركون وسؤالهم على سبيل التعيير للنبى ﷺ وأصحابه لما قد وقع من بعضهم من القتال فيه . فرد الله عليهم بأن القتال فيه كبير ولكن هناك ما هو أعظم وأخطر وهو صدهم للمؤمنين عن دين الله وكفرهم بالله وصدهم عن المسجد الحرام بمنع المسلمين من الوصول إلى حرمه وإخراج أهله منه وهم رسول الله ﷺ وأصحابه . كل ذلك أعظم وزراً مما فعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن .

قال الإمام النسفى فى بيان معنى الفتنة : « والفتنة » الإخراج أو الشرك « أكبر من القتل » فى الشهر الحرام . ا . هـ[١] .

وقال الإمام ابن كثير : « والفتنة أكبر من القتل » أى قد كانوا يفتنون المسلم فى دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل . ا . هـ[٣] .

---

[١] أسباب النزول للسيوطى ص ٢٩ كتاب التحرير طبع بالقاهرة سنة ١٣٨٢ هـ

[٢] تفسير النسفى ١٠٧/١ : ١٠٨

[٣] تفسير ابن كثير ٢٥٤/١

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » أى ولا يزالون جاهدين فى قتالكم حتى يعيدونكم إلى الكفر والضلال إن قدروا فهم غير نازعين عن كفرهم وعدوانهم .

ففى الآية إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون حتى يردوهم عن دينهم إن مكن لهم واستطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فعلى المؤمنين ألا يغفلوا عن الدفاع عن أنفسهم .

ومن يستجب لهم منكم فيرجع عن دينه ويرتد عن الإسلام ويموت فهو كافر وأولئك الموصوفون بالردة البعيدون فى الضلال بطلت أعمالهم الصالحة وصارت هباءا منثورا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون خلودا أبدياً كسائر الكفرة ولا يغنى عنهم إيمانهم السابق عن الردة شيئاً .

والردة عن الإسلام إنما هى من صفات المنافقين قال تعالى : « ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا »[١] .

قال ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى عن هؤلاء الذين « يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا »[٢] أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة ، وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنة وهى الدخول فى الكفر لكفروا سريعاً وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع ، هكذا فسره قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير وهذا ذم لهم فى غاية الذم . ا . هـ[٣]

[١ ، ٢] سورة الأحزاب آية : ١٣ ، ١٤

[٣] المصدر السابق ٤٧٢/٣

وكذلك فسره الحسن ومجاهد[١].

وقال صاحب الكشاف: قوله «ولو دخلت عليهم» المدينة، وقيل بيوتهم. من قولك: دخلت على فلان داره «من أقطارها» من جوانبها يريد: ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفاً منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين «ثم سئلوا» عند ذلك الفزع وتلك الرجفة «الفتنة» أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين «لآتوها» لجاءوها وفعلوها، وقرىء لآتوها، أي لأعطوها «وما تلبثوا بها إلا يسيرا» ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف، أو مالبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيرا فإن الله يهلكهم[٢].

وهذه الردة والرجعة إلى الكفر من أسباب دخولهم النار قال تعالى «يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير»[٣].

قال صاحبا بصائر ذوي التمييز. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله

---

[١] روح المعاني ٢١/١٦١

[٢] تفسير الكشاف للزمخشري ٣/٢٥٤

[٣] سورة الحديد الآيات ١٣ : ١٥

العزيز: قوله: «ولكنكم فتنتم أنفسكم» يعني: كفرتم[١].

والمعنى: إذكر يوم يقول المنافقون والمنافقات، الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، يقولون للذين آمنوا، على سبيل التحسر والتذلل «انظرونا نقتبس من نوركم» أي نصب منه وذلك بأن يلحقوا بهم فيستنيروا به ... «قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً» والقائل هم المؤمنون أو الملائكة، فلما رجعوا وانصرفوا يطلبون النور ضرب بينهم وبين المؤمنين بحاجز ضخم، هذا الحاجز الضخم والسور العظيم «له باب» باطن هذا الباب مما يلي المؤمنين «فيه الرحمة» أي فيه الجنة، وظاهر هذا الباب مما يلي المنافقين «من قبله العذاب» ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: «ألم نكن معكم» في الدنيا نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات، فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى قد كنتم معنا ولكنكم أضللتم أنفسكم بالنفاق الذي هو كفر باطن، وإسلام ظاهر، وكنتم تتربصون بالمؤمنين الدوائر وشككتم في الحق الذي جاءكم به الرسول ﷺ وأعرضتم عنه «وغرتكم الأماني» الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس الإسلام «حتى جاء أمر الله» أي الموت «وغركم بالله الغرور» أي الشيطان، قال لكم: إن الله عفو كريم لا يعذبكم، «فاليوم لا يؤخذ منكم» أيها المنافقون فداء وهو ما يبذل لحفظ النفس من العذاب ولا يؤخذ من الذين كفروا كذلك، مأواكم جميعا النار هي مولاكم وبئس المصير[٢].

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٤/١٦٧ والوجوه والنظائر لأبي عبد الله الدامغاني ٢/١٢٠

(٢) راجع هذا في روح المعاني ٢٧/١٧٦ فما بعدها وتفسير ابن كثير ٤/٣٠٩

ثانياً : بمعنى الإضلال والضلالة :

قال تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله »(١) .

ففى بيان معنى الفتنة قال الإمام ابن كثير : « ابتغاء الفتنة » أى الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن(٢) .

وقال عنها الإمام الألوسى : « ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » أى طلب أن يفتنوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه(٣) .

وقال صاحب الكشاف : « ابتغاء الفتنة » طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم(٤) .

والمعنى : يخبر الله تعالى أن القرآن الذى أنزله على سيدنا محمد ﷺ بعض آياته محكمات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد كقوله تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا »[٥] الآيات وكقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه »[٦] الآيات .

(١) سورة آل عمران آية ٧
(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٤٥
(٣) روح المعانى ٨٢/٣
(٤) الكشاف للزمخشرى ٤١٣/١
(٥) سورة الأنعام آية ١٥١
(٦) سورة الإسراء آية ٢٣

وهن أى المحكمات أم الكتاب وعماده ومعظمه وأصله الذى دعى الناس إليه ويمكنهم فهمه وعنها يتفرع غيرها ويحمل عليها وهى أكثر ما فى القرآن .

ومنه آيات أخر فيها اشتباه فى الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم مثل قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى »[١] فالإستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والإستيلاء ولا يجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله : « ليس كمثله شىء »[٢] فأما الذين فى قلوبهم زيغ وميل عن الحق إلى الباطل وهم أهل البدع فيتعلقون بالمتشابه ويتركون المحكم ابتغاء فتنة الناس واضلالهم ، ولكى يأولون القرآن تأويلا غير سائغ فى العقل ولكنه موافق لأوهامهم وضلالهم . . وما يعلم تأويله وحقيقته إلا الله(٣) .

ومن هذا النوع قوله تعالى : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »(٤) .

[١] سورة طه آية ٥
[٢] سورة الشورى آية ١١
[٣] راجع هذا المعنى فى تفسير ابن كثير ٣٤٤/١ ، ٣٤٥ وتفسير النسفى ١٤٦/١
[٤] سورة المائدة آية ٤١

فالمراد بالفتنة فى قوله « ومن يرد الله فتنته » يعنى : ومن يرد الله ضلالته[١] .

روى الإمام مسلم بسنده عن البراء بن عازب قال : مر على النبى ﷺ بيهودى محمماً مجلوداً فدعاهم ﷺ فقال : هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ، قالوا : نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال : أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قال لا ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك نجده الرجم ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقنا عليه الحد قلنا تعالوا فلنجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال الله ﷺ : اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل ، يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر »[٢] .

والمعنى كما يقول الإمام النسفى : « ومن يرد الله فتنه » أى ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الإيمان ولا يريد الكفر « فلن تملك له من الله شيئا » قطع رجاء محمد ﷺ عن إيمان هؤلاء « أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم » عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضا « لهم فى الدنيا خزى » للمنافقين فضيحة ولليهود

(١) بصائر ذوى التمييز ٤/١٦٨ ، الوجوه والنظائر ٢/١٢٢

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ك الحدود ب حد الزنا ١١ / ٢٠٩ : ٢١٠ وانظر أسباب النزول للواحدى ص ١٤٥ وأسباب النزول للسيوطى ص ٧٢

جزية « ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » أى التخليد فى النار . اهـ[١] .

وفى ذلك يقول الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى : ومن يقض الله بكفره وضلاله فلن تملك له — أيها الرسول الكريم — شيئاً من الهداية لتدفع بها ضلاله وكفره ، أولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة لم يرد الله — تعالى — أن يطهر قلوبهم من النفاق والضلال ، لأنهم استحبوا العمى على الهدى ، « لهم فى الدنيا خزى » أى فضيحة وهوان بسبب ظهور كذبهم ، وفساد نفوسهم وانتشار تعاليم الإسلام التى يحاربونها ويشيعون الأباطيل حولها ، وحول من جاء بها — ﷺ — « ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » وهو خلودهم فى النار بسبب احترافهم السيئات ، ومحاربتهم لمن جاءهم بالحق والهدى والسعادة اهـ[٢] .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : « فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم »[٣] .

فمعنى : « بفاتنين » أى بمضلين[٤] ، والمعنى : فإنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه من الأصنام فى الشياطين لستم بقادرين على أن

[١] تفسير النسفى ١/٢٨٤ وانظر تفسير الكشاف للزمخشرى ١/٦١٣ : ٦١٤ ورد الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد المالكى عليه فى الإنصاف أيضا .

[٢] التفسير الوسيط ٤/٢٠٧

[٣] سورة الصافات الآيات ١٦١ : ١٦٣

[٤] بصائر ذوى التمييز ٤/١٦٨ والوجوه والنظائر ٢/١٢٢

تضلوا أحداً من عباد الله ، إلا من قضى الله عليه الشقاوة ، وقدر أنه يدخل النار ويصلاها .

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات : يقول تعالى مخاطباً المشركين ، فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من صال الجحيم ، أى إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن درىء النار قال تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »[1] فهذا الضرب من الناس هو الذى ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة اهـ[2] .

وقال الإمام النسفى فى معنى قوله تعالى : « فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين » أى : لستم تضلون أحداً إلا أصحاب النار الذين سبق فى علم الله تعالى أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها اهـ[3] .

ومن الآيات التى وردت فى هذا المعنى قوله : « يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنه ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما »[4] .

قال الإمام السيوطى فى معنى هذه الآية : قوله « يا بنى آدم لا يفتنكم

[1] سورة الأعراف آية ١٧٩
[2] تفسير ابن كثير ٤/٢٣
[3] تفسير النسفى ٤/٣٠
[4] سورة الأعراف آية ٢٧

يضلنكم ، الشيطان ، لا تتبعوه فتفتنوا ، كما أخرج أبويكم من الجنة ، بفتنته[1] .

وقال الإمام الألوسى قوله : « لا يفتننكم الشيطان » أى لا يوقعنكم فى الفتنة بأن يوسوس لكم بما يمنعكم به عن دخول الجنة فتطيعوه . . وهذا نهى للشيطان فى الصورة . والمراد نهى المخاطبين عن متابعته وفعل ما يقود إلى الفتنة اهـ[2] .

ففى هذه الآية الكريمة يحذر الله تعالى بنى آدم من إبليس وقبيله مبيناً لهم عداوته القديمة لأبى البشر آدم عليه السلام فى سعيه فى إخراجه من الجنة التى هى دار النعيم إلى دار التعب والعناء والتسبب فى هتك عوراته بعد ما كانت مستورة عنه .

ثالثاً : بمعنى العذاب :

قال تعالى : « قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون »[3] .

قال الراغب : قوله : « يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنكم » أى عذابكم[4] .

[1] حاشية الصاوى على الجلالين ٢/٦٢
[2] روح المعانى ٨/١٠٤
[3] سورة الذاريات الآيات ١٠ : ١٤
[4] المفردات فى غريب القرآن ص ٣٧١

وقال الإمام ابن كثير : وقوله : « قتل الخراصون » قال مجاهد : الكذابون . قال وهى مثل التى فى عبس « قتل الإنسان ما أكفره » والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون . وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما « قتل الخراصون » أى لعن المرتابون .

وهكذا كان معاذ رضى الله عنه يقول فى خطبته هلك المرتابون ، وقال قتادة الخراصون أهل الغرة والظنون ، وقوله تبارك وتعالى : « الذين هم فى غمرة ساهون » . قال ابن عباس رضى الله عنهما وغير واحد فى الكفر والشك غافلون لاهون « يسألون أيان يوم الدين » وإنما يقولون هذا تكذيباً وعناداً وشكاً واستبعاداً . قال الله تعالى : « يوم هم على النار يفتنون » .

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد يفتنون يعذبون كما يفتن الذهب على النار ، وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضا وعكرمة وإبراهيم النخعى وزيد بن أسلم وسفيان الثورى يفتنون يحرقون « ذوقوا فتنتكم » قال مجاهد حريقكم وقال غيره عذابكم « هذا الذى كنتم به تستعجلون » أى يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً والله أعلم اهـ[١] .

وهؤلاء الخراصون المنكرون للبعث كانوا يفتنون من آمن بالعذاب والإكراه على الكفر والارتداد عن الدين .

قال تعالى : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم »[٢] .

---

[١] تفسير ابن كثير ٤/٢٣٢ : ٢٣٣

[٢] سورة النحل الآية ١١٠

قال الإمام الألوسى : قوله « ثم إن ربك للذين هاجروا » إلى دار الإسلام وهم عمار . وأضرابه أى لهم بالولاية والنصر . .. (من بعد ما فتنوا) أى عذبوا على الارتداد ، وأصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ثم تجوز به عن البلاء وتعذيب الإنسان . وقرأ ابن عامر (فتنوا) مبنيا للفاعل ، وهو ضمير المشركين عند غير واحد أى عذبوا المؤمنين كالحضرمى أكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا .

(ثم جاهدوا) الكفار [وصبروا] على مشاق الجهاد أو على ما أصابهم من المشاق مطلقاً [إن ربك من بعدها] أى المذكورات من الفتنة والهجرة والجهاد والصبر ، وهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة .

وجوز أن يكون الضمير للفتنة المفهومة من الفعل السابق ويكون ماذكر بياناً لعدم إخلال ذلك بالحكم .

وقال ابن عطية : يجوز أن يكون للتوبة والكلام يعطيها وإن لم يجر لها ذكر صريح [لغفور] لما فعلوا من قبل [رحيم] ينعم عليهم مجازاة لما صنعوا من بعد ، وفى التعرض لعنوان الربوبية فى الموضعين إيماء إلى علة الحكم وما فى إضافة الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام مع ظهور الأثر فى الطائفة المذكورة إظهار لكمال اللطف به ﷺ بأن إفاضة الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه الصلاة والسلام ولكونهم أتباعاً له . اهـ[١]

هذا وكون الآية فى عمار وأضرابه رضى الله تعالى عنهم مما ذكره غير واحد ، روى أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسر وسمية على

---

(١) روح المعانى ١٤/٢٣٩ : ٢٤٠ وانظر الوجوه والنظائر ٢/١٢١ .

الإرتداد فأبوا فربطوا سمية بين بعيرين ووجىء بحربة فى قبلها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين فى الإسلام وأما عمار فأعطاهم باسان ما أكرهوه عليه فقيل يارسول الله إن عمارا كفر فقال رسول الله ﷺ : كلا إن عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يبكى فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال : مالك إن عادوا فعد لهم بما قلت . [١]

ومن هذا النوع قوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين »[٢].

يعنى : جعل عذاب الناس فى الدنيا كعذاب الله [٣] فالآية الكريمة نزلت فى المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم فإذا أوذوا فى سبيل الله وافتتنوا فى دينهم وعصوا بالإبتلاء والتعذيب ظهر الواقع وانكشف الساتر ، وجعلوا فتنة الناس تمنع من الثبات فى دينه كما يمنع عذاب الله من الكفر وكان يمكنهم أن يظهروا موافقتهم وتكون قلوبهم مطمئنة بالإيمان كما كان من عمار بن ياسر .

قال الواحدى قوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله » قال مجاهد : نزلت فى أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة فى أنفسهم افتتنوا . وقال الضحاك : نزلت فى أناس من المنافقين بمكة

---

(١) المصدر السابق ١٤ / ٢٣٧ .
(٢) سورة العنكبوت آية : ١١
(٣) الوجوه والنظائر ٢ / ١٢٠

كانوا يؤمنون فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك . اهـ[١] .

والمعنى كما يقول العلامة الألوسى : « ومن الناس » أى بعضهم « من يقول آمنا بالله فإذا أوذى فى الله » أى لأجله عز وجل على أن فى للسببية ، أو المراد فى سبيل الله تعالى بأن عذبهم المشركون على الإيمان به تعالى « جعل فتنة الناس » أى نزلوا مايصيبهم من أذيتهم « كعذاب الله » أى منزلة عذابه تعالى فى الآخرة فجزعوا من ذلك ولم يصبروا عليه وأطاعوا الناس وكفروا بالله تعالى كما يطيح الله تعالى من يخاف عذابه سبحانه فيؤمن به عزوجل .

« ولئن جاء نصر من ربك » بأن حصل للمؤمنين فتح وغنيمة « ليقولن إنا كنا معكم » أى مشايعين لكم فى الدين فأشركونا فيما حصل من الغنيمة .. والآية نزلت فى ناس من ضعفة المسلمين كانوا إذا مسهم أذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين وبذلك يكونون منافقين ، ولذا قال ابن زيد . والسدى : إن الآية فى المنافقين فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله سبحانه . « أوليس الله بأعلم بما فى صدر العالمين »[٢] .

وقال العلامه الصاوى : « قوله فإذا أوذى فى الله » أى أذاه الكفار على إظهار الإيمان « قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله » أى لم يصبر على الأذى بل ترك الدين الحق والتشبيه من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعا لهم من الإيمان وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حد الإكراه وتكون قلوبهم مطمئنة بالإيمان . اهـ[٣]

---

(١) أسباب النزول ص ٢٥٨ ط المتنبى القاهرة .
(٢) روح المعانى ٢٠ / ١٣٩ : ١٤٠
(٣) حاشية الصاوى على الجلالين ٣ / ١٩٣

رابعاً : بمعنى البلاء والاختبار :

قال تعالى : « الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »[١] .

فمعنى قوله « وهم لا يفتنون » يعنى : وهم لا يبتلون فى إيمانهم « ولقد فتنا الذين من قبلهم » يعنى : ابتلينا[٢] .

وقال الراغب قوله « لا يفتنون » أى لا يختبرون فيميز خبيثهم من طيبهم كما قال تعالى : « ليميز الله الخبيث من الطيب »[٣] .

بيان سبب النزول : قال الواحدى قوله تعالى « ألم أحسب الناس » الآيتان ، قال الشعبى : نزلت فى أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب إليهم أصحاب النبى ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فأتبعهم المشركون فآذوهم فنزلت فيهم هذه الآية ، وكتبوا إليهم أن قد نزلت فيكم آية كذا وكذا

وقال مقاتل : نزلت فى مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، فقال النبى ﷺ : « سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة » فجزع عليه أبواه وامرأته فأنزل الله تعالى فيهم

---

(١) سورة العنكبوت الآيات ١ : ٣

(٢) الوجوه والنظائر ٢ / ١٢١

(٣) سورة الأنفال آية : ٣٧ وانظر المفردات ص ٣٧٢

هذه الآية وأخبر أنه لابد لهم من البلاء والمشقة فى ذات الله تعالى ا.هـ[١] .

قال الإمام السيوطى : واخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبيد عن ابن عمير قال : نزلت فى عمار بن ياسر إذ كان يعذب فى الله « أحسب الناس » الآية ا.هـ[٢] .

ومن المعلوم والمتقرر أن الآية الكريمة سواء أكانت نازله فى الأناس الذين كانوا بمكة أم فى مهجع بن عبد الله أو فى عمار بن ياسر فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال الإمام الزركشى تحت عنوان « خصوص السبب وعموم الصيغة » وقد يكون السبب خاصاً والصيغة عامة ، لينبه على أن العبرة بعموم اللفظ ا . هـ[٣] .

وعليه فالابتلاء سنة ماضية فى السابقين واللاحقين إلى يوم القيامة .

والمعنى : أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين ، بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ، ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص ، والراسخ فى الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال تعالى : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور »[٤] .

---

(١) أسباب النزول ص ٢٥٦

(٢) أسباب النزول للسيوطى ص ١٣٣

(٣) البرهان فى علوم القرآن ١/٣٢

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٦ وانظر تفسير الكشاف ٣/١٩٥

وقوله سبحانه : « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » مؤكد لما قبله من أن ظن الناس أن يتركوا بدون ابتلاء لقولهم آمنا ، هذا الظن فى غير محله ، لأن سنة الله قد اقتضت أن يدفع الناس بعضهم ببعض ، وأن يجعل الكافرين يتصارعون مع المؤمنين إلا أن العاقبة فى النهاية للمؤمنين[١] .

قال الألوسى رحمه الله : والمراد بالذين من قبلهم المؤمنون أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما أصابهم فصبروا وعضوا على دينهم بالنواجذ كما يعرب عنه قوله تعالى : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا »[٢] الآيات .

وروى البخارى . وأبو داود . والنسائى عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ ولقد لقينا من المشركين شدة فقلنا : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ا. ه[٣] .

ومن الآيات التى جاءت فيها كلمة الفتنة بمعنى الإمتحان والإختبار

---

(١) التفسير الوسيط ١١ / ١٠

(٢) سورة آل عمران ١٤٦ : ١٤٨

(٣) روح المعانى ٢٠/١٣٥

قول الله تعالى : « وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم »[١] قال الراغب : فقد سماهم ههنا فتنة اعتباراً بما ينال الإنسان من الإختبار بهم . ا ه[٢] .

وفى معنى الآية الكريمة وسر تقديم الأموال على الأولاد قال الألوسى « وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة » محنة من الله عز وجل يختبركم بها .. ولعل الفتنة فى المال أكثر منها فى الولد ولذا قدمت الأموال على الأولاد .

وجاء عن ابن مسعود : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة لأن الله سبحانه يقول : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة » فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله تعالى من مضلات الفتن ، ومثله عن على كرم الله وجهه « وأن الله عنده أجر عظيم » لمن مال إليه سبحانه وآثر رضاه عليها وراعى حدوده فيها فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه . ا ه[٣] .

وقال صاحب المنار : وأموال الإنسان عليها مدار حياته ، وتحصيل رغائبه وشهواته ، ودفع كثير من المكاره عنه ، فهو يتكلف فى طلبها المشاق ، ويركب الصعاب ويكلفه الشرع فيها التزام الحلال واجتناب الحرام ، ويرغبه فى القصد والاعتدال فى انفاقها .

وأما الأولاد فحبهم — كما يقول الأستاذ الإمام — ضرب من

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٨

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٧٢

(٣) روح المعانى ٩ / ١٩٦

الجنون يلقيه الفاطر الحكيم فى قلوب الأمهات والآباء ، فيحملهم على بذل كل ما يستطاع بذله فى سبيلهم ..

روى ابن أبى ليلى من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً : « الولد ثمرة القلب وإنه مجبنة مبخلة محزنة »[١] فحب الولد قد يحمل الوالدين على اقتراف الآثام ، وعلى الجبن ، وعلى البخل ، وعلى الحزن ..

فالواجب على المؤمنين اتقاء خطر الفتنة الأولى بكسب المال من وجوهه الحلال ، وإنفاقه فى وجوهه المشروعة .. واتقاء خطر الفتنة الثانية باتباع ما أوجبه الله على الآباء من حسن تربية الأولاد على الدين والفضائل ، وتجنيبهم أسباب المعاصى والرذائل . اهـ[٢] .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم »[٣] قال ابن كثير فى معنى هذه الآية : يقول تعالى إنما الأموال والأولاد فتنة أى اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، « والله عنده » أى يوم القيامة « أجر عظيم » كما قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره ٣٧٦/٤ ونسبه إلى الحافظ أبى بكر البزار باسناده عن محمود بن بكير عن أبيه عن عيسى عن ابن أبى ليلى عن عطيه عن أبى سعيد قال : قال رسول ﷺ « الولد ثمرة القلوب وإنهم مجبنة محزنة » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد .

(٢) تفسير المنار ٥٩٤/٩ ملخصا وبتصرف يسير .

(٣) سورة التغابن آية : ١٥

متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب »[١] والتى بعدها ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن حدثنى حسين بن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة . يقول : كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : « صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما » ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به ، وقال الترمذى حسن غريب إنما نعرفه من حديثه . اهـ[٢] .

ومن أمثلة هذا المعنى كذلك قوله تعالى : « إذ تمشى اختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى »[٣] .

فمعنى الفتنة فى قوله : « وفتناك فتونا » يعنى ابتليناك بلاء[٤] .

قال الإمام النسفى فى معنى الجملة الكريمة : « وفتناك فتونا » ابتليناك ابتلاء بايقاعك فى المحن وتخليصك منها ، والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أى فتناك ضروباً من الفتن ، والفتنة المحنة وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة . اهـ[٥] .

---

[١] سورة آل عمران آية ١٤

[٢] تفسير ابن كثير ٣٧٦/٤

[٣] سورة طه آية : ٤٠

[٤] الوجوه والنظائر ١٢١/٢

[٥] تفسير النسفى ٥٣/٣

وقد ساق الإمام ابن كثير عنه تفسيره لهذه الآية حديثا طويلا نقله عن الإمام النسائى فى كتاب التفسير من سننه يسمى بـ « حديث الفتون » من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر فيه قصة مولد موسى، وإلقائه فى اليم ، وتربيته فى بيت فرعون ، وقتله القبطى ، وهروبه إلى مـــدين ، وعودته منها إلى مصر ... إلخ .

ثم قال رحمه الله : وهكذا رواه النسائى فى السنن الكبرى وأخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره والله أعلم[١] .

ومن هذا القبيل قوله تعالى : « ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم »[٢] أى ابتليناهم وامتحناهم واللام فى قوله « ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون » موطئة للقسم .

وقوله « فتنا » من الفتن بمعنى الإختبار والإمتحان . يقال : فتنت الذهب بالنار ، إذا أدخلته فيها لتعرف جودته من رداءته .

والمراد به هنا : إختبارهم وامتحانهم ، بإرسال موسى عليه السلام إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان ، وبالتوسعة عليهم تارة ، وبالتضييق عليهم تارة أخرى .

والمعنى : والله لقد اختبرنا فرعون وقومه من قبل أن نرسلك

---

(١) تفسير ابن كثير ١٤٨/٣ : ١٥٣

(٢) سورة الدخان آية ١٧

— أيها الرسول الكريم — إلى هؤلاء المشركين ، وكان اختبارنا وامتحاننا لهم عن طريق إرسال نبينا موسى إليهم وعن طريق ابتلائهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون إلى طاعتنا ، ولكنهم لم يرجعوا فأهلكناهم .

فالآية الكريمة المقصود بها تسلية الرسول — ﷺ عما أصابه من قومه ، ببيان أن تكذيب الأقوام لرسلهم ، حاصل من قبله فعليه أن يتأسى بالرسل السابقين فى صبرهم .

والمراد بالرسول الكريم فى قوله تعالى : « وجاءهم رسول كريم » موسى عليه السلام .

ووصف — سبحانه — نبيه موسى بالكرم ، على سبيل التشريف له ، والإعلاء من قدره فقد كان — عليه السلام — كاريماً لربه ، ومطيعاً لأمره ، ومتصفاً بأسمى الأخلاق وأفضلها .

قال الألوسى قوله تعالى : « وجاءهم رسول كريم » أى مكرم معظم عند الله عز وجل أو عند المؤمنين أو عنده تعالى وعندهم ، أو كريم فى نفسه متصف بالخصال الحميدة والصفات الجليلة حسباً ونسباً . اهـ[١]

ومن الآيات التى تأتى فيها كلمة الفتنة بمعنى الإبتلاء والامتحان قول الله سبحانه : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون

---

(١) روح المعانى ١٢٠/٢٥ وانظر تفسير الكشاف ٥٠٢/٣ والتفسير الوسيط ١٥٤/١٣

وكان ربك بصيراً »[١] .

أى : وما أرسلنا قبلك — أيها الرسول الكريم — أحداً من رسلنا ، إلا وحالهم وشأنهم أنهم يأكلون الطعام الذى يأكله غيرهم من البشر ، ويمشون فى الأسواق كما يمشى غيرهم من الناس طلباً للتكسب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم فإن الله تعالى جعل لهم من السمات الحسنة ، والصفات الجميلة والأقوال الفاضلة ، والأعمال الكاملة والخوارق الباهرة والأدلة القاهرة ما يستدل به كل ذى لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ما جاءوا به من الله[٢] .

وإذاً فقول المشركين فى شأنك « مال لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق »[٣] قول يدل على جهالاتهم وسوء نياتهم فلا تتأثر به أيها الرسول الكريم .

« وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » أى محنة وابتلاء ، وهذا تصبير لرسول الله ﷺ على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه فى الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل[٤] .

وهذا الامتحان عام فى جميع الخلق ، امتحن الله بعضهم ببعض فامتحن الرسل بالمرسل إليهم ودعوتهم إلى الحق والصبر على أذاهم ، وتحمل المشاق فى تبليغهم رسالات ربهم ، وامتحن المرسل إليهم بالرسل ،

(١) سورة الفرقان آية ٢٠
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣١٣/٣
(٣) سورة الفرقان آية ٧
(٤) تفسير الكشاف ٨٧/٣

وهل يطيعونهم وينصرونهم ، ويصدقونهم ، أم يكفرون بهم ، ويردون عليهم ويقاتلونهم ؟

وامتحن العلماء بالجهال ، هل يعلمونهم وينصحونهم ، ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم ، ولوازم ذلك ؟ وامتحن الجهال بالعلماء ، هل يطيعونهم ويهتدون بهم ؟

وامتحن الملوك بالرعية ، والرعية بالملوك ، وامتحن الأغنياء بالفقراء ، والفقراء بالأغنياء ، وامتحن الضعفاء بالأقوياء ، والأقوياء بالضعفاء والسادة بالأتباع ، والأتباع بالسادة ، وامتحن المالك بمملوكه ، ومملوكه به ، وامتحن الرجل بامرأته ، وامرأته به ، وامتحن الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، والمؤمنين بالكفار والكفار بالمؤمنين ، وامتحن الآمرين بالمعروف بمن يأمرونهم ، وامتحن المأمورين بهم ، ولذلك كان فقراء المؤمنين وضعفاؤهم من أتباع الرسل ، فتنة لأغنيائهم ورؤسائهم امتنعوا من الإيمان بعد معرفتهم بصدق الرسل ، وقالوا : « لو كان خيراً ما سبقونا إليه »[١] .

وقالوا لنوح عليه السلام : « أنؤمن لك واتبعك الأرذلون »[٢] .

قال تعالى : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا »[٣] .

والاستفهام فى قوله تعالى : « أتصبرون » للتقرير . أى : أتصبرون

(١) سورة الأحقاف آية ١١
(٢) سورة الشعراء آية ١١١
(٣) سورة الأنعام آية ٥٣ وانظر إغاثة اللهفان ١٥٥/٢ : ١٥٦

على هذا الابتلاء والاختبار فنالوا من الله — تعالى — الأجر ، أم لا تصبرون فيزداد همكم وغمكم ؟

ويصح أن يكون الاستفهام بمعنى الأمر . أى : اصبروا على هذا الابتلاء كما فى قوله تعالى : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلتم »[١] أى أسلموا ، وكما فى قوله سبحانه : « فهل أنتم منتهون »[٢] أى انتهوا[٣] .

قال ابن قيم الجوزية : قرن الله سبحانه الفتنة بالصبر ههنا ، وفى قوله : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا »[٤] فليس لمن قد فتن بفتنة دواء مثل الصبر ، فإن صبر كانت الفتنة محصة له ، ومخلصة من الذنوب كما يخلص الكير خبث الذهب والفضة .

فالفتنة كير القلوب ، ومحك الإيمان وبها يتبين الصادق من الكاذب قال تعالى : « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »[٥] .

فالفتنة قسمت الناس إلى صادق وكاذب ، ومؤمن ومنافق ، وطيب وخبيث ، فمن صبر عليها كانت رحمة فى حقه ، ونجا من فتنة أعظم منها ،

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٠
(٢) « المائدة آية ٦١
(٣) التفسير الوسيط ٢٣٨/١٠
(٤) سورة النحل آية ١١٠
(٥) « العنكبوت آية ٣

ومن لم يصبر عليها وقع فى فتنة أشد منها اهـ[١] .

ثم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى : « وكان ربك بصيرا » وعداً للصابرين ووعيداً للعاصين وجعله بعضهم وعداً للرسول ﷺ بالأجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه الصلاة والسلام بالإلتفات إلى اسم الرب مضافاً إلى ضميره ﷺ[٢]

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين »[٣] .

قال مجاهد وقتادة وغيرهما [على حرف] على شك ، وقال غيرهم على طرف ومنه حرف الجبل أى طرفه أى دخل فى الدين على طرف فإن وجد ما يحبه استقر وإلا انشمر .

أخرج البخارى ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية : كان الرجل يقدم المدينة فإذا ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال : هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال : هذا دين سوء .

« وإن أصابته فتنة » أى شىء يفتن به من مكروه يعتريه فى نفسه أو أهله أو ماله .

قال ابن كثير : والفتنة البلاء أى وإن أصابه وجع المدينة وولدت

---

(١) إغاثة اللهفان ١٥٧/٢
(٢) روح المعانى ٢٥٥/١٨
(٣) سورة الحج آية ١١

امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هـذا إلا شرا، وذلك الفتنة، وهكذا ذكر قتادة والضحاك وابن جريج وغير واحد من السلف فى تفسير هذه الآية. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة إلا ما صلح من دنياه فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر.

وقال مجاهد فى قوله «خسر الدنيا والآخرة» أى فلا هو حصل من الدنيا على شىء وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم فهو فيها فى غاية الشقاء والإهانة ولهذا قال تعالى «ذلك هو الخسران المبين» أى هذه هى الخسارة العظيمة والصفقة الخاسرة. اهـ[١]

ومثل هذه الآية قوله تعالى: «فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما إنما أوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون»[٢].

فالمراد بالإنسان هنا هو جنس الكافر بدليل سباق الآيات وسياقها، ويصح أن يراد به جنس الإنسان عموما، ويدخل فيه الكافر دخولا أوليا.

أى: فإذا أصاب الإنسان ضر، من مرض أو فقر أونحوهما دعانا قاعدا أوقائما. لكى نكشف عنه مانزل به من بلاء. (ثم إذا خولناه

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٠٩ وروح المعانى ١٧ / ١٢٤ والحديث فى فتح البارى ك التفسير ب [ومن الناس من يعبد الله على حرف] ٨/٢٩٦ رقم ٤٧٤٢.

(٢) سورة الزمر آية: ٤٩

نعمة منا) أى: ثم إذا أجبنا لهذا الإنسان دعوته وكشفنا عنه الضر وأعطيناه نعمة منا تفضلا عليه وكرما (قال إنما أوتيته على علم) أى: قال ذلك الإنسان الظلوم الكفار الجاحد إنما أعطيته على علم منى بوجوه المكاسب، أو على علم منى سأعطى هذه النعمة، بسبب استعدادى واجتهادى وتفوقى فى مباشرة الأسباب التى توصل إلى الغنى والجاه.

وجاء الضمير فى قوله [أوتيته] مذكرا مع أنه يعود إلى النعمة. لأنها بمعنى الإنعام. أى: إذا خولناه شيئاً من الإنعام الذى تفضلنا به عليه، قال إنما أوتيته على علم ونبوغ عندى. [بل هى فتنة] إنكار له كأنه قال ماخولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء واختبار لك أتشكر أم تكفر.

[ولكن أكثرهم لا يعلمون] أى ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن إعطاءهم المال إختبار وابتلاء فلذلك يبطرون ويقولون مايقولون ويدعون مايدعون[١].

خامساً: بمعنى الصد عن الصراط المستقيم:

قال تعالى: «وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون»[٢].

قال صاحب البصائر قوله: [واحذرهم أن يفتنوك] أى يصدوك.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٧ وتفسير النسفى ٤ / ٦١ والتفسير الوسيط ١٢ / ٣٠٥

(٢) سورة المائدة آية: ٤٩

وقيل : يوقعوك فى بلية وشدة فى صرفهم إياك عما أوحى إليك . اهـ (١)

قال الإمام الواحدى فى سبب نزول هذه الآية : قال ابن عباس إن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد عليه الصلاة والسلام لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا : يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وإنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولن يخالفونا وإن بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى فيهم « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » .(٢)

والمعنى : وأنزلنا إليك الكتاب يامحمد فيه حكم الله ، وأنزلنا إليك فيه أن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، واحذرهم أن يضلوك أو يصدوك عن بعض ما أنزلنا إليك ولو كان أقل قليل ، بأن يصوروا لك الباطل فى صورة الحق ، أو بأن يحاولوا حملك على الحكم الذى يناسب شهواتهم .

وفى قوله تعالى : « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » تيئيس لأولئك اليهود الذين حاولوا إغراء الرسول ﷺ بأن يقضى لهم بما يرضيهم لكى يتبعوه ، ونهى له ﷺ ولأتباعه عن الاستجابة لأهواء هؤلاء اليهود ولو فى أقل قليل مما يتنافى مع الحق الذى أمره الله تعالى بالسير عليه والقضاء بين الناس .

---

(١) بصائر ذوى التمييز للفيروزآبادى ٤/١٦٨ وانظر الوجوه والنظائر ٢/١٢٢

(٢) أسباب النزول ص ١٤٧ وانظر أسباب النزول للسيوطى ص ٧٣

ثم بين — سبحانه — سوء عاقبة كل من يعرض عن حكم الله تعالى فقال « فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم » ، أى : فإن تولوا عن حكمك وأعرضوا عنك بعد تحاكمهم إليك وأرادوا الحكم بغير ما أنزل الله . . فاعلم أن حكمة الله قد اقتضت أن يعاقبهم بسبب بعض هذه الذنوب متى اقترفوها بتوليهم عن حكم الله ، واعراضهم عنك وانصرافهم عن الهدى والرشاد إلى الغى والضلال ، لأن الأمة التى لاتخضع لأحكام شرع الله ، وتسير وراء لذائذها ومتعها وشهواتها وأهوائها الباطلة لابد أن يصيبها العقاب الشديد بسبب ذلك .

وعبر سبحانه عما يصيبهم من عقاب بأنه بسبب ارتكابهم لبعض الذنوب . للإشارة بأن لهم ذنوباً كثيرة بعضها كاف لإنزال العقوبة الشديدة بهم .

قال صاحب الكشاف : قوله « فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم » يعنى بذنب التولى عن حكم الله وإرادة خلافه ، فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك ، وأراد أن لهم ذنوباً جمة كثيرة العدد ، وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها ، وهذا الإبهام لتعظيم التولى واستسرافهم فى ارتكابه ، ونحو البعض فى هذا الكلام ما فى قول لبيد : « أو يرتبط بعض النفوس حمامها » أراد نفسه وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام كأنه قال : نفساً كبيرة ونفساً أى نفس فكما أن التنكير يعطى معنى التنكير وهو معنى البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض. اهـ[١]

وقوله : « وإن كثيراً من الناس لفاسقون » اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله ، ومتضمن تسلية الرسول ﷺ عما لقيه من مخالفيه ولا سيما اليهود .

---

(١) الكشاف للزمخشرى ١/ ٤٦٨ : ٦٤٩

أى : وإن كثيرا من الناس لخارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناكبون عنه ، ومتبعون لخطوات الشيطان وإذا كان الأمر كذلك فلا تبتئس يا محمد مما لقيته من أصحاب النفوس المريضة ، بل اصبر حتى يحكم الله بينك وبينهم (١) .

ومن هذا النوع أيضا قوله تعالى : « وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (٢) .

ذكر المفسرون فى سبب نزول الآيات الكريمة روايات منها ما أخرجه ابن مردويه وابن أبى حاتم من طريق اسحاق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، تعال نمسح بآلهتنا وندخل معك فى دينك . وكان يحب إسلام قومه فرق لهم ، فأنزل الله « وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك » إلى « نصيرا » .

قال السيوطى : هذا أصح ماورد فى سبب نزولها ، وهو اسناد جيد وله شاهد .

أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال : كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر ، فقالوا : لاندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا ولو بطرف أصابعك . فقال النبى ﷺ : وما على لو فعلت والله يعلم منى خلافه ؟ فنزلت .

---

(١) انظر التفسير الوسيط ٤ / ٢٤٣ ومابعده .

(٢) سورة الإسراء الآيات ٧٣ : ٧٥

وقيل : نزلت فى ثقيف أتوا النبى ﷺ فسألوه شططاً وقالوا متعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة فإنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم ... فنزلت .

وأخرج ابن أبى حاتم عن جبير بن نضير أن قريشا أتوا النبى ﷺ فقالوا له : إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس وموالينا لنكون نحن أصحابك فنزلت .

قال الألوسى بعد أن ذكر بعض هذه الروايات وغيرها : وفى ذلك روايات أخر مختلفة أيضاً وفى بعضها ما لا يصح نسبته إلى الرسول ﷺ ولا يكاد يؤول وذلك يدل على الوضع والتفسير لا يتوقف على شىء من ذلك . وأيا ما كان فضمير الجمع للكفار وهم إما ثقيف أو قريش ا . هـ (١) .

والمعنى : وإن شأن هؤلاء المشركين ، أنهم قاربوا فى ظنهم الباطل وزعمهم الكاذب ، أن يصرفوك ويصدوك عن الذى أوحيناه إليك من هذا القرآن وارتضيناه لك ، لتفترى علينا غيره ، إنك لو فعلت ذلك بأى صورة ووافقتهم لأحبوا ذلك منك ولصاروا أصدقاء لك .

وقد بين القرآن الكريم فى غير موضع أن الرسول ﷺ أعرض عن مقترحاتهم ولم ينظر إليها ومن ذلك قوله تعالى : « وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا ما يوحى إلى إنى

---

(١) انظر روح المعانى ١٥ / ١٢٧ ، ١٢٨ وأسباب النزول للسيوطى ص ١١١ وأسباب النزول للواحدى ص ٢١٨ : ٢١٩

أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعلون »[١] .

ثم بين — سبحانه — بعض مظاهر فضله على نبيه ﷺ فقال : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا » أى : ولولا تثبيتنا إياك أيها الرسول على ما أنت عليه من الحق والصدق ، بأن عصمناك من كيدهم لقاربت أن تميل إليهم ميلا قليلا .

قال الشنقيطى رحمه الله : وهذه الآية أوضحت غاية الإيضاح ، براءة نبينا ﷺ من مقاربة الركون إلى الكفار ، فضلا عن نفس الركون لأن « لولا » حرف امتناع لوجود ، فمقاربة الركون منعتها « لولا » الإمتناعية لوجود التثبيت من الله تعالى لأكرم خلقه ﷺ فاتضح يقيناً انتفاء مقاربة الركون أى الميل فضلا عن الركون نفسه .

وهذه الآية تبين ما قبلها ، وأنه ﷺ لم يقارب الركون إليهم مطلقاً . لأن قوله : « لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا » أى قاربت تركن إليهم ، هو عين الممنوع بلولا الإمتناعية ا هـ[٢] .

ومما يدل على أن الرسول ﷺ لم يقارب الركون من أقوال الكافرين قول ابن عباس رضى الله عنهما : كان رسول الله ﷺ معصوماً ، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين فى شىء من أحكام الله تعالى وشرائعه[٣] .

---

(١) سورة يونس الآيتان ١٥ ، ١٦

(٢) أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطى ٣/٣٢١

(٣) انظر تفسير القرطبى ١٠/٣٠٠

ثم بين — سبحانه — ما كان سيترتب على الركون إليهم — على سبيل الفرض من عقاب — فقال تعالى : « إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » .

أى : إنك لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الموت .

قال الألوسى : وفى هذه الشرطية إجلال عظيم بمكان رسول الله ﷺ وتنبيه على أن الأقرب أشد خطراً وذلك أنه أوعد بضعف العذاب على مقاربة أدنى ركون .. ونظير ذلك من وجه ما جاء فى نسائه عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى : « يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين »[١] .

وقال صاحب الكشاف : وفى ذكر الكيدوده وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ... وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله ، فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآيات أن يجثو عندها ويتدبرها فهى جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب فى دين الله ، وعن النبى ﷺ أنها لما نزلت كان يقول : « اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفه عين »[٢] .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٠ وانظر روح المعانى ١٢٩/١٥

(٢) الكشاف للزمخشرى ٤٦١/٢

سادساً : بمعنى الحرق بالنار :

قال تعالى : « إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق »[١] .

فمعنى قوله : « إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات » يعنى : أحرقوا المؤمنين والمؤمنات فى الدنيا[٢] .

وهذا التفسير روى مأثوراً عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما .

قال ابن كثير رحمه الله : وقوله تعالى « إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات » أى حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبزى ا . هـ[٣] .

والمعنى : إن الظالمين الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات ، وأحرقوهم بالنار ثم لم يتوبوا إلى الله — تعالى — من ذنوبهم ويرجعوا عن تعذيبهم للمؤمنات ، فلهم فى الآخرة عذاب جهنم بسبب إصرارهم على كفرهم وعدوانهم ، ولهم نار أخرى زائدة على غيرها فى الإحراق .

والمراد بالذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أصحاب الأخدود ... وقيل المراد كفار قريش الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات من هذه الأمة بأنواع من العذاب وقوله « ثم لم يتوبوا » قال ابن عطيه يقوى أن الآية فى قريش

---

(١) سورة البروج آية : ١٠

(٢) الوجوه والنظائر ١٢١/٢

(٣) تفسير ابن كثير ٤٩٦/٤

لأن هذا اللفظ فيهم أحكم منه فى أولئك الذين قد علم أنهم ماتوا على كفرهم ، وأما قريش فكان فيهم وقت نزولها من تاب وآمن وأنت تعلم أن هذا على ما فيه لا يعكر على أظهرية العموم[١] .

وعليه فيصح أن يراد بهم جميع من عذبوا المؤمنين والمؤمنات ، ويدخل فيه أصحاب الأخدود ، وكفار قريش دخولا أولياً .

وما أشبه الليلة بالبارحة فإذا كان أصحاب الأخدود ، والكفار قديماً قد غاظهم إيمان المؤمنين المعاصرين لهم ، وشق عليهم ذلك فانتقموا منهم انتقاماً شديداً ..

فهؤلاء هم أصحاب الأخدود والكفار الجدد يقومون بالإبادة الجماعية وكذلك المقابر الجماعية للمؤمنين فى كوسوفا والبوسنة والهرسك والشيشان والهند وكشمير وتركستان الشرقية وغيرها ويقومون كذلك بتشريد الشيوخ والأطفال واغتصاب النساء واحراق الأرض وهدم البيوت كل هذا حقداً على الإسلام لأنهم لايريدون أن يكون له وجود فى بلاد الغرب والشرق تلك طبيعة البشر قديماً وحديثاً ، وهذا صراع الحق والباطل ، وتلك هى البوتقة التى يصهر فيها الإيمان ويصفى .

---

(١) انظر روح المعانى ٣٠/٩٠ : ٩١

سابعاً : بمعنى القتل والهلاك :

قال تعالى : « وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبينا »[١] .

فمعنى الفتنة فى قوله تعالى : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » يعنى : يقتلكم[٢] .

قال العلامة الألوسى فى معنى هذه الآية: أى إن خفتم أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال أو غيره . اهـ[٣] .

والمعنى : وإذا سافرتم فى البلاد للغزو أو التجارة أو غيرهما فلا إثم عليكم أن تقصروا من الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين إن خشيتم أن يتعرض لكم الذين كفروا بما تكرهونه من القتال أو غيره .

وذكر الخوف ليس للشرط وإنما هو لبيان الواقع حيث كانت أسفارهم لا تخلو من خوف العدو لكثرة المشركين .

قال ابن كثير : وأما قوله تعالى : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية ، فإن فى مبدأ الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة ، بل ما كانوا ينهضون إلا إلى غزو عام ، أو فى سرية خاصة ، وسائر الأحيان حرب للإسلام وأهله ، والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب أو على حادثة فلا مفهوم له

(١) سورة النساء آية : ١٠١

(٢) بصائر ذوى التمييز ١٦٨/٤ والوجوه والنظائر ١٢١/٢

(٣) روح المعانى ١٣٣/٥

كقوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا »[١] — حيث إن الإكراه حرام مطلقاً أردن التحصن أم لم يردن —

ويؤيده حديث يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : إن الله يقول : « إن خفتم » وقد أمن الناس فقال : عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » رواه مسلم وأهل السنن .

« إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » أى إن الكافرين أعداء لكم مظهرون للعداوة فاحذروهم فى السفر والإقامة ولا يمنعهم فرصة اشتغالكم بمناجاة الله أن يقتلوكم[٢] ولصلاة الخوف أحكامها فى كتب الفقه .

ومن هذا القبيل أيضاً قوله تعالى : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال فى الأرض وإنه لمن المسرفين »[٣] .

فمعنى الفتنة فى قوله تعالى : « على خوف من فرعون وملإيهم أن يفتنهم » يعنى : أن يقتلهم[٤] .

وهذه الفتنة جاء تفسيرها فى مواضع عدة من القرآن الكريم فى سورة الأعراف وطه والشعراء والقصص .

(١) سورة النور آية : ٣٣

(٢) راجع تفسير ابن كثير ٥٤٤/١ وصحيح مسلم بشرح النووى كـ صلاة المسافرين وقصرها ١٩٦/٥

(٣) سورة يونس آية : ٨٣

(٤) الوجوه والنظائر ١٢٢/٢ وبصائر ذوى التمييز ١٦٨/٤

قال تعالى : « وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وءالهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون »[١] .

وقال سبحانه « قال ءامنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى »[٢] .

وقال عز من قائل : « قال ءامنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين »[٣] .

وقال جل وعز : « إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين »[٤] .

والمعنى : يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات إلا قليل من قوم فرعون من الذرية ، وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يقتلهم ويعذبهم ، لأن فرعون لعنه الله كان جباراً عنيداً مسرفاً

---

[١] سورة الأعراف آية : ١٢٧
[٢] سورة طه آية : ٧١
[٣] سورة الشعراء آية : ٤٩
[٤] سورة القصص آية : ٤

فى التمرد والظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء والكبر والعتو حتى ادعى الربوبية[١] .

ثامناً : بمعنى الاختلاف والتفرق :

قال تعالى : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون »[٢] .

قال : صاحب الكشاف قوله تعالى : « يبغونكم الفتنة » يحاولون أن يفتنوكم بوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم فى مغزاكم . . . « لقد ابتغوا الفتنة » أى . . . السعى فى تشتيت شملكم وتفريق أصحابك عنك اهـ[٣] .

وقال العلامة الألوسى قوله : « يبغونكم الفتنة » أى يطلبون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم وتهويل أمر العدو عليكم وإلقاء الرعب فى قلوبكم وهذا هو المروى عن الضحاك . . . « لقد ابتغوا الفتنة » تشتيت شملك وتفريق أصحابك اهـ[٤] .

---

(١) اقتبست هذا المعنى من روح المعانى ١١ / ١٦٨ : ١٦٩ وتفسير ابن كثير ٤٢٧/٢

(٢) سورة التوبة الآيتان ٤٧ ، ٤٨

(٣) الكشاف للزمخشرى ١٦٤/٢ وانظر تفسير النسفى ١٢٩/٢

(٤) روح المعانى ١٠/ ١١٢ ، ١١٣

فالآيتين الكريمتين كما يلاحظ القارىء أنهما وردتا ضمن الآيات الفاضحة للمنافقين الكاشفة عن سوء أخلاقهم وطباعهم القبيحة من الكيد والمكر وإثارة الفتن بين المسلمين وانتحال الأعذار فى القعود عن الجهاد إلى غير ذلك .

والمعنى : لو خرج هؤلاء المنافقون معكم أيها المؤمنون منبثين فيكم وقاتلوا معكم ، ما زادوكم إلا خبالا وشراً وفساداً ولأسرعوا السير والمشى بينكم بالنميمة والبغضاء وإذاعة السوء والتخويف من الأعداء وتثبيط الهمة وهذا كله خطر عليكم وأى خطر كهذا .

ولا تنسوا أن فيكم قوماً سماعين لهم من ضعفاء العقل والإيمان .

قال الألوسى رحمه الله قوله : « وفيكم سماعون لهم ، أى نمامون يسمعون حديثكم لأجل نقله إليهم كما روى عن مجاهد ، وابن زيد أو فيكم أناس من المسلمين ضعفه يسمعون قولهم ويطيعونهم كما روى عن قتادة ، وابن إسحاق وجماعة ... « والله عليم بالظالمين » علماً محيطاً بظواهرهم وبواطنهم وأفعالهم الماضية والمستقبلة فيجازيهم على ذلك ، ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد فى الوعيد والإشعار بترتبه على الظلم ، ويجوز أن يراد بالظالمين الجنس ويدخل المذكورون دخولا أولياً ، والمراد منهم إما القاعدون أو هم والسماعون[1] .

تا الله لقد ابتغوا الفتنة بتشتيت شملك وتفريق صحبك عنك من قبل غزوة تبوك ، وذلك كما روى عن الحسن يوم أحد حين انصرف

(١) المصدر السابق ١١٣/١٠ ، ١١٣

عبد الله بن أبى بن سلول بأصحابه المنافقين ، وقد تخلف بهم عن هذه الغزوة أيضاً بعد أن خرج مع النبى ﷺ إلى قريب من ثنية الوداع .

ودبروا لك المكايد والحيل وأداروا الآراء فى إبطال دينك ، والقضاء على دعوتكم ولكن : أطنين أجنحة الذباب يضير ؟!! نعم لم يفعلوا شيئاً فالله معكم وقد جاء الحق بالنصر الموعود ، وظهر دينه وعلا شرعه سبحانه وهم — أى المنافقون وأشباههم — كارهون لذلك لأنهم يكرهون انتصار دين الإسلام ، ويحبون هزيمته وخذلانه ، ولكن الله تعالى خيب آمالهم وأحبط مكرهم[1] .

تاسعاً : بمعنى الإثم :

قال تعالى : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين »[2] .

قال الفيروز آبادى : قوله « ألا فى الفتنة سقطوا » أى : فى الإثم »[3] .

وهو قول الإمام النسفى ومن قبله صاحب الكشاف وأيضا السيوطى فى الإتقان[4] .

(١) اقتبست المعنى من المصدر السابق والتفسير الواضح ٥٧/١٠

(٢) سورة التوبة آية ٤٩

(٣) بصائر ذوى التمييز ١٦٧/٤

(٤) انظر تفسير النسفى ١٢٩/٢ والكشاف للزمخشرى ١٩٤/٢ والإتقان للسيوطى ١٤٣/١

قال الإمام الآلوسى فى بيان هذه الآية : « ومنهم من يقول ائذن لى » فى القعود عن الجهاد « ولا تفتنى » أى لا توقعنى فى الفتنة بنساء الروم .

أخرج ابن المنذر ، والطبرانى ، وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما « لما أراد النبى ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال لجد ابن قيس : يا جد بن قيس ما تقول فى مجاهدة بنى الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله إنى امرؤ صاحب نساء ومتى أرى نساء بنى الأصفر أفتتن فائذن لى ولا تفتنى فنزلت ، وروى نحوه عن عائشه ، وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أو لا توقعنى فى المعصية والإثم بمخالفة أمرك فى الخروج إلى الجهاد ، وروى هذا عن الحسن ، وقتادة ، واختاره الجبائى . . .

« ألا فى الفتنة » أى فى نفسها وعينها : « سقطوا » لا فى شىء مغاير لها فضلا أن يكون مهرباً ومخلصاً عنها ، وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجرأة على هذا الاستئذان والقعود بالإذن المبنى عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة . . .

وفى التعبير عن الافتتان بالسقوط فى الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم فى دركات الردى أسفل سافلين وتقديم الجار والمجرور لا يخفى وجهه « وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » وعيد لهم على ما فعلوا وهو عطف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه ، أى جامعة لهم من كل جانب لا محالة وذلك يوم القيامة . . ويحتمل أن يكون المراد أنها محيطة بهم الآن بأن يراد من جهنم أسبابها من الكفر والفتنة التى سقطوا فيها ونحو ذلك اه (١)

---

(١) روح المعانى ١١٣/١٠ : ١١٤

ومن ذلك قوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »[١] .

قال الفيروز آبادى : قوله « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » أى : إثم[٢] أ . هـ .

وروى عن مجاهد « أن تصيبهم فتنة » أى بلاء ومحنة فى الدنيا . وعن ابن عباس تفسير الفتنة بالقتل . وعن جعفر الصادق رضى الله عنه تفسيرها بتسليط سلطان جائر ، وعن السدى ومقاتل تفسيرها بالكفر[٣] .

قلت : وهذه المعانى لا تعارض بينها .

قال الإمام ابن كثير فى معنى هذه الآية : وقوله « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أى عن أمر رسول الله ﷺ ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »[٤] أى فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً « أن تصيبهم فتنة » أى فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة .

---

(١) سورة النور آية : ٦٣ .

(٢) بصائر ذوى التمييز ١٦٧/٤ .

(٣) روح المعانى ٢٢٧/١٨ .

(٤) فتح البارى ك الاعتصام بالكتاب والسنة ب إذا اجتهد العامل أو الحاكم ١٣ / ٣٢٩ .

« أو يصيبهم عذاب أليم » أى فى الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك كما روى الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق خدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « مثلى ومثلكم كمثل رجل استو قد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائى يقعن فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها — قال — فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبونى وتقتحمون فيها » أخرجاه من حديث عبد الرزاق[١] ا . هـ

ونقول لمن يريد تعطيل سنة الرسول ﷺ أو انكارها محتطباً بحبل المستشرقين سائراً فى ركبهم اتق الله وقل قولا صوابا فإن الله توعد بالعقاب من خالف أمر رسوله ﷺ .

قال القرطبى : وبهذه الآية احتج الفقهاء على أن الأمر للوجوب . ووجهها أن الله — تعالى — قد حذر من مخالفة أمره ، وتوعد بالعقاب عليها بقوله : « أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » فيجب امتثال أمره[٢] ا . هـ

عاشراً : بمعنى المعذرة :

قال تعالى : « ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون . ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين »[٣] .

(١) تفسير ابن كثير ٣٠٧/٣
(٢) تفسير القرطبى ١٢ / ٣٢٢
(٣) سورة الأنعام الآيتان ٢٢ ، ٢٣

قال الفيروز آبادى قوله : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا » أى : عذرهم[١] .

وقال السيوطى قوله « ثم لم تكن » بالتاء والياء « فتنتهم » بالرفع والنصب أى معذرتهم[٢] ا . هـ

والمعنى كما قاله ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى مخبراً عن المشركين « يوم نحشرهم جميعاً » يوم القيامة فيسألهم عن الأصنام والأنداد التى كانوا يعبدونها قائلا لهم « أين شركائى الذين كنتم تزعمون » .. « ثم لم تكن فتنتهم » قال الضحاك عن ابن عباس أى حجتهم وقال عطاء الخراسانى عنه أى معذرتهم وكذا قال قتاده وقال ابن جريج عن ابن عباس أى قبيحهم وكذا قال الضحاك وقال عطاء الخراسانى « ثم لم تكن فتنتهم » نليتهم حين ابتلوا « إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين »[٣] .

إن قلت كيف الجمع بين ما هنا وبين قوله « ولا يكتمون الله حديثا[٤] .

قلت : أولا ينكرون الإشراك ويحلفون على عدم وقوعه منهم ثم يستشهد الله الأعضاء فتنطق الجوارح فحينئذ يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا فهم أولا يظنون أن إنكارهم نافع حين تشهد أعضاؤهم يتمنون أن لو كانوا تراباً ولم يكتموا شيئاً . قاله العلامة الصاوى فى حاشيته[٥] .

(١) بصائر ذوى التمييز ١٦٨/٤
(٢) تفسير الجلالين على هامش حاشية الصاوى ٨/٢ وانظر الاتقان فى علوم القرآن ١٤٣/١
(٣) تفسير ابن كثير ١٢٧/٢
(٤) سورة النساء آية : ٤٢
(٥) ٩/٢

لايمنعه أن يدعو الله ألا يصيبه البلاء الذى يجعله فتنة وشبهة تحيك فى الصدور . اهـ[1] .

ثانى عشر : بمعنى الجنون :

قال تعالى : « فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون »[2] .

قال الفيروزآبادى قوله : « بأيكم المفتون » أى : الجنون[3] .

وقال الراغب : وقوله « بأيكم المفتون » قال الأخفش : المفتون الفتنة كقولك ليس له معقول ، وخذ ميسورة ودع معسورة ، فتقديره بأيكم الفتون[4] .

وتفسير المفتون أى الذى فتن بالجنون هو ما جاء عن ابن عباس وغيره .

قال العلامة الألوسى : قوله « فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون » أى المجنون كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس . وابن المنذر عن ابن جبير . وعبد بن حميد عن مجاهد . وأطلق على المجنون لأنه فتن أى محن بالجنون . اهـ[5] .

والمعنى : أى فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال هل أنت كما كانوا يفترون ، أم هم بكفرهم وانصرافهم عن الهدى .

---

(١) فى ظلال القرآن سيد قطب ٣٥٤٣/٦

(٢) سورة القلم الآيتان ٥ ، ٦

(٣) بصائر ذوى التمييز ١٦٨/٤

(٤) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٧٢

(٥) روح المعانى ٢٥/٢٩

والآيتان كقوله تعالى : « سيعلمون غداً من الكذاب الأشر » الآية : ٢٦ من سورة القمر وكقوله تعالى : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » الآية : ٢٤ من سورة سبأ .

قال القرطبى : والمفتون : المجنون الذى فتنة الشيطان ، ومعظم السورة نزل فى « الوليد بن المغيرة » و « أبى جهل » وقد كان المشركون يقولون : إن بمحمد شيطاناً ، وعنوا بالمجنون هذا فقال الله تعالى سيعلمون غداً بأيهم المجنون أى الشيطان الذى يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل[1] .

وبعد :

فهذه هى معانى الفتنة كما وردت فى آيات القرآن الكريم والجامع بينها كما يقول الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعى رحمه الله : « الحيرة والتخبط »[2] .

وقد ذكر الإمام ابن القيم بعض الحكم والدروس من فتنة المؤمن والكافر فقال ما ملخصه : « إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التى لو بقيت فيه أهلكته ، أو نقصت ثوابه ، وأنزلت درجته ، فيستخرج الإبتلاء والإمتحان منه تلك الأدواء ويزيد أجره وتعلو منزلته وهذا خير للمؤمن ...

وأن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم ، وقهرهم ، وكسرهم لهم أحيانا فيه حكمة عظيمة ، لا يعلمها على التفصيل إلا الله عز وجل .

---

(١) تفسير القرطبى ٢٢٩/١٨ وانظر تفسير ابن كثير ٤٠٣/٤

(٢) الأصلان فى علوم القرآن ص ٣٣٧ ط دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٨٤

فمنها : استخراج عبوديتهم وذلهم لله ، وانكسارهم له ، وافتقارهم إليه ، وسؤاله نصرهم على أعدائهم ...

ومنها : أنهم لو كانوا دائمـــاً منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا ، لدخل معهم من ليس قصده الدين ومتابعة الرسول ﷺ ... ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً لم يدخل معهم أحد . فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة ، وعليهم تارة فيتميز بذلك من يريد الله ورسوله ، ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه .

ومنها : أنه سبحانه يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء ، وفي حال العافية والبلاء ففي كلتا الحالين عبودية ولا يستقيم القلب بدونها ، كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد ، والجوع والعطش والتعب والنصب ، وأضدادها . فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني والاستقامة المطلوبة منه ، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع . . .

أنه لابد من حصول الألم والمحنة لكل نفس آمنت أو كفرت ، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ، ثم تكون له عاقبة الدنيا والآخرة . والكافر والمنافق والفاجر تحصل له اللذة والنعيم ابتداء ثم يصير إلى الألم .

أن ما يصيب الكافر والفاجر والمنافق من العز والنصر والجاه دون مايحصل للمؤمنين بكثير ، بل باطن ذلك ذل وكسر وهوان ، وإن كان في الظاهر بخلافه .

قال الحسن رحمه الله « إنهم وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه » .

٥٨

أن مايصيب المؤمنين في الله تعالى مقرون بالرضا والإحتساب ، فإن فاتهم الرضا فعولهم على الصبر وذلك يخفف عنهم ثقل البلا. ... والكفار لارضا عندهم ولا احتساب ، وإن صبروا فكصبر البهائم ، وقد نبه تعالى على ذلك بقوله : ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون »[١] .

« وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »

---

[١] سورة النساء آية : ١٠٤ وانظر إغاثة اللهفان ١٨٥/٢ فما بعدها .

٥٩

ثبت المصادر

أولا — القرآن الكريم

ثانيا — كتب التفسير

١ — أضواء البيان فى تفسير القرآن / محمد الأمين الشنقيطى .

٢ — تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار / محمد رشيد رضا .

٣ — تفسير القرآن العظيم / الحافظ إسماعيل بن كثير .

٤ — تفسير النسفى .

٥ — التفسير الواضح / دكتور محمد محمود حجازى .

٦ — التفسير الوسيط / دكتور محمد سيد طنطاوى .

٧ — الجامع الأحكام القرآن / الإمام أبى عبد الله القرطبى .

٨ — حاشية الصاوى على تفسير الجلالين .

٩ — روح المعانى / العلامة محمود شهاب الدين الألوسى .

١٠ — الكشاف عن حقائق التنزيل / أبى القاسم الزمخشرى .

١١ — فى ظلال القرآن / سيد قطب .

ثالثا — كتب السنة :

١ — صحيح مسلم بشرح الإمام النووى .

٢ — فتح البارى بشرح صحيح البخارى / الحافظ ابن حجر .

رابعا — كتب علوم القرآن :

١ — الإتقان فى علوم القرآن / للسيوطى

٢ — أسباب النزول / للواحدى

٣ — أسباب النزول / للسيوطى .

٤ — البرهان فى علوم القرآن / للزركشى

خامساً — كتب اللغة :

١ — تاج العروس / للزبيدى

٢ — لسان العرب / ابن منظور .

٣ — المفردات فى غريب القرآن / الراغب الأصفهانى .

٤ — مقاييس اللغة / ابن فارس

٥ — النهاية فى غريب الحديث / ابن الأثير .

سادسا — كتب أخرى :

١ — إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / ابن القيم الجوزية

٢ — بصائر ذوى التمييز / محمد بن يعقوب الفيروزآبادى .

٣ — الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتدال / ابن المنير .

٥ — الوجوه والنظائر / الحسين بن محمد الدامغانى .